

جودة التعليم والوتيرة المدرسية- قراءة في المفاهيم- Quality of education and school pace - a reading of concepts

سعيد خديجة¹:

جامعة ابو بكر بلقايد تلمسان، الجزائر؛ khdidjamouad@gmail.com

ملخص:

لقد ارتبطت مفاهيم مثل جودة التعليم والوتيرة المدرسية، بعملية تعلم الأفراد، وهي مفاهيم مركزية تسهل على الباحث فهم الحياة التعليمية وطريقة سيرها، وهي ضرورة من ضرورات قيام البحث العلمي في المنظومة التربوية.

ويشار بالجودة في التعليم الى تلك السمات التي ترتبط بالمجال التعليمي والتي تبين مستوى التفوق الذي يمكن أن يحققه هذه العملية، وتشمل الجودة احتياجات وتوقعات الطلاب للخصائص المحددة التي تؤسس للعملية التعليمية بطريقة تتماشى وتطلعات الطلاب.

في حين تهتم الوتيرة المدرسية بجدول التوقيت أو الرزنامة المدرسية أو التغيرات الدورية للعمليات الفيزيولوجية والفكرية والنفسية للتلاميذ، والوتيرة المدرسية حسب الباحثين في هذا المجال هي مفهوم غامض والسبب يرجع الى ارتباطها بمجموعة من المفاهيم التي تجعل منه مفهوما ملتبسا.

الكلمات المفتاحية: الجودة، التعليم، الوتيرة، المدرسة، علم البيولوجيا الزمني، الكرونونفسية

* المؤلف المرسل: سعيد خديجة¹، الإيميل: khdidjamouad@gmail.com .

Abstract:

Concepts such as the Quality of education and school pace have been linked to the individual learning process, and they are central concepts that facilitate the researcher's understanding of educational life and the way it works, and it is a necessity of scientific research in the educational system.

Quality of education:

Education quality means those standards, frameworks, and procedures whose application aims to improve the educational environment. These are procedures that cover all educational institutions with their various phases and structures, including the teaching staff, and administrative.

The quality of education aims to raise the educational level within educational institutions in order to provide a model a student with high competence and distinguished mental abilities for society and the world of work, a quality that is based on a set of criteria that should not be neglected: changing the scientific curricula followed, which do not give sufficient results, improving education in cities and villages(...).

While the school pace is concerned with timing tables, the school calendar, or periodic changes of physiological, intellectual and psychological processes, the school pace, according to researchers in this field, is a concept mysterious.

Key words: Quality; Education; Physiological; Psychological; School; Chronology.

- مقدمة:

تعتبر العملية التعليمية من المواضيع الهامة التي أثارت اهتمام الباحثين والدارسين في الحقول المعرفية بحيث نجد أن سؤال العملية التربوية وتطويرها وتحسينها من بين أهم الأسئلة في حياة الشعوب، باختلاف ثقافتها ومذاهبها ولغاتها، كيف لا والتعليم ضرورة اجتماعية، فهو المصدر الأساسي في تطويره وازدهاره في كافة مجالات الحياة. ولقد أثبتت التجارب الميدانية أن المعيار الذي يقاس به تطور المجتمعات هو النتائج العلمية والعملية التي تحققه في مجالات التربية والتعليم. فالقاعدة تقول: إن تطور الدول وتخلفها يقاس بمدى نجاحها في مجالها التعليمي.

1- الهدف من الدراسة:

نريد من خلال هذه الدراسة الوقوف على معنى كل من مصطلح جودة التعليم والوتيرة المدرسية، وتحليلهما وتبيان دورها داخل العملية التعليمية. يتناول البحث مجموعة من الاشكاليات تهدف الى معالجة مضمون هذا العمل وهي:

- ما معنى جودة التعليم؟
- وما ذا نقصد بالوتيرة المدرسية؟
- وما دورهما في انجاح عملية التّعلم؟
- 2- معنى التّعلم:

يستخدم مصطلح التّعلم في علم النّفس بمعنى أوسع وأشمل فهو لا يقتصر على التّعلم المدرسي المقصود بل يشمل كل ما يكتسبه الفرد من معارف وأفكار واتجاهات وعواطف وميول وعادات ومهارات، سواء تم ذلك بطريقة معتمدة مخطط لها، أو بطريقة عارفة غير مقصودة. ويصنف التّعلم إلى عدة أنواع من حيث أشكاله وموضوعاته ووسائله مثل التّعلم المعرفي العقلي الانفعالي اللفظي، الاجتماعي، والتّعلم المقصود، وغير المقصود، التّعلم الذاتي أو المستقل، التّعلم عن بعد... الخ. (قايد أحمد نور الدين، 2010، ص 39-40)

ويعرف بأنّه العملية التي يتغيّر بها السلوك نتيجة لخبرة سابقة، وجوهره اضافة عمل جديد لما كان يمكن للإنسان أن يقوم به قبل ذلك، على أساس أن يعزز هذا النّشاط الجديد في أوجه النّشاطات المختلفة المقبلة وهذا التّغيير السلوكي الذي يحدث من جراء التّعلم يجب أن يكون ثابتاً، فلا نستطيع أن نقول هذا الطالب قد تعلم هذا الدرس إن كان قد نسيه بعد أن قرأه وإنما يتطلب التّعلم ثبات المادة التي استذكرها الطالب ويجب في هذا المجال أن نفرق بين التّعلم وعمليتين أخريين: الغريزة والنضج. (عكاشة، 2019).

3- مفهوم جودة التعليم

- مفهوم الجودة:
- لغة:

أصل كلمة جودة في اللغة العربية هو: جود: الجيّد: نقيض الرديء، على فَيَعْل، وأصله جيود..وجاد الشيء جُودَةً أي صار جيّداً. ويقال: هذا الشيء جيّد بين الجُودة والجّودة، وقد جاد

جودة وأجاد: أتى بالجيد من القول والفعل، ويقال: أجاد فلان في عمله، وأجود وجاد عمله وجود جودةً.

أما في اللغة الانجليزية فقد عرف قاموس ويبستر Webster New World Dictionary الجودة: أنها صفة أو درجة تفوق يمتلكها شيء ما، كما تعني درجة الامتياز.

- الجودة اصطلاحاً:

عرفت الجمعية الأمريكية لرقابة الجودة ASQC أنها مجموعة من المميزات والخصائص للسلعة أو الخدمة التي تجعلها قادرة على تلبية حاجات الزبائن. وتعني الجودة (طبقاً لتعريف منظمة الإيزو العالمية) الوفاء بجمع المتطلبات المتفق عليها بحيث تنال رضا العميل ويكون المنتج ذو جودة عالية وتكلفة اقتصادية معتدلة، ورد لها أيضاً تعريف حسب مضمون المواصفة القياسية لعام 2000 بأنها: مجموعة الصفات المميزة للمنتج (أو النشاط أو العملية أو المؤسسة أو الشخص) التي تجعله ملبياً للحاجات والمتوقعة أو قادراً على تلبيتها. وبقدر ما يكون المنتج ملبياً للحاجات والتوقعات نصفه منتجاً جيداً أو عالي الجودة أو رديئاً، ويعبر عن الحاجات المعلنة في عقد الشراء أو البيع بمواصفات محدّدة المراد شراؤه أو بيعه. (خديجة شناف-مرد بلخيري، 2017، ص 241-242).

يقول رئيس الهيئة الاستشارية القومية البريطانية بيل Ball إن محاولة تعريف الجودة تعد من المغامرات الأكثر صعوبة التي يمكن أن نشرع فيها، ويعرفها وليم ليتل بأنها: حالة من التفوق، وامتلاك الفرد لجودة جيّدة الأساس وحصولها على درجات نادرة بجدارة ويعبر قاموس ويبستر بالطريقة نفسها بأنها درجة التفوق التي يمتلكها شيء ما وتعني درجة الامتياز لنوعية معينة من المنتج، وعرفها جوران وفرانك (Frank Jurane 1964) في عام 1964 بأنها: المناسبة للاستعمال (Fitness for use) وتطور مؤخراً تعريفها إلى المطابقة للمواصفات، والجودة معيار أو هدف يمكن قياسه وليس إحساساً مهمماً، إنها جهد متواصل من أجل التطوير وليست درجة امتياز محددة فالجودة معيار للكمال وفي السياق نفسه يعرفها رينهارت بأنها الخصائص المتجمعة لمنتج أو خدمة ترضي حاجات العميل سواء كان العميل هو المتلقي المباشر للخدمة (الطالب أو المعلم داخل نظام التكوين) أو المستخدم الأصلي للمنتج أو الخدمة أو كليهما من العملاء. (الطلاء، 2014، ص6).

ويمكن تعريف الجودة بأنها عيار درجة تهمين المستهلك أو (من ينوب عنه) لموضوع الاستهلاك. إنها حكم تقويمي لموضوع الاستهلاك والوصف، مادياً كان أم رمزياً (المكُون، النظام، القانون، السلعة، أو الخدمة أو أي منتج نهائي أو منته) يلخص مدى تحقيقه لمعيار أو أكثر من المعايير التي وضعت أصلاً وتبين فضائله أو نواقصه، ويمكن أن تطول قائمة المعايير إلى ما لا نهاية، تبعاً للتوظيف المتوقع للموضوع التقويم فمن المعايير المستخدمة نذكر السرعة، المقاومة على أنواعها (مقاومة، الصدمات، الطقس، الزمن، التآكل) الوظيفة، الانتاجية الاثر، الاقتصادية، الندرة، النقاء، الجمالية، وغيرها، ويمكن تقرير الجودة باستخدام معيار واحد أو أكثر، بحسب الموقف وطبيعة التوقعات، وليست الجودة حالة وحيدة ثابتة يعلن عن وجودها عند العثور عليها. بل حالات متدرجة من أدنى القيم السالبة إلى أعلى القيم الموجبة، تتبدل مقاييسها وصيغها تبعاً لما يطرأ على المعايير السابقة الذكر من تحولات وتوقعات بنات المنافسة من تعديلات، وعلى العكس الكيفية التي تفيد التصنيف والفرز بدون تحميلها عبء المفاضلة وبدون تضمينها حكماً قيمياً بشكل حتمي، تحدد الجودة الموقع الترتيبي الذي يحتله الكيان الموصوف على مدرج تفضلي معروفة أوزانه المعيارية وشحنها القيمية مسبقاً. (وهبة، د ت ن، ص5).

يعرفها تيزر وديتور (Detar/ Tenner) أنها استراتيجية عمل أساسية تسهم في تقديم سلع وخدمات ترضي بشكل كبير العملاء في الداخل والخارج وذلك من خلال تلبية توقعاتهم الضمنية والصريحة، وعرفها بارتون (Batron) ومارسون (Marson): أنها معرفة ماذا يريد العميل، وتحقيق تلك الرغبة بشكل صحيح يخلوا من العيوب، من أول مرة بحيث لا يضطر إلى العودة مرة أخرى إلى الموظف لتعديل الخطأ، بالإضافة إلى الاستمرار في تحسين الأداء من خلال جودة الخدمة، عرفها جابلو نسكي (jabloNaski) أنها: شكل تعاوني لأداء الأعمال يعتمد على القدرات المشتركة لكل من الإدارة والعاملين، يهدف التحسين المستمر في الجودة الإنتاجية، وذلك من خلال فرق العمل، وعرفها ويلكنسون بأنها الوفاء الدقيق بمتطلبات العملاء الشاملة وتعني اشتراك العملاء وجميع أفراد المنظمة، وعرفها (دالسيفاز) (Dalsifaz) أنها تلك الثقافة التي تتسم بتنامي رضا العملاء من خلال التحسين المستمر الذي يتحقق من جراء المساهمة الفعالة لكافة المعلمين والطلاب (الطلاب ، 2014، ص7).

ولقد ارتبط مفهوم الجودة بمفاهيم مصاحبة مثل: مراقبة الجودة أو ضبط الجودة، ضمان الجودة، وإدارة الجودة، وإدارة الجودة الشاملة، والجودة النوعية، (...) تعني مراقبة الجودة أو ضبط الجودة، أي الإجراءات التي تستخدم لمراقبة سير عمليات الإنتاج ومتابعة مراحل تقديم خدمة معينة للتأكد من أنها مطابقة لموصفات الجودة المحددة، في حين يشير مصطلح ضمان الجودة: لتلك النشاطات المخطط لها في نظام الجودة بهدف توليد الثقة لدى العملاء بأن مواصفات المنتج مطابقة لمعايير نظام الجودة، أما الجودة النوعية: فهي عبارة عن إجراء مصممة على مستوى المؤسسة تهدف إلى متابعة الممارسات العملية وتقويمها للتأكد من ملاءمتها بطريقة فعالة لمتطلبات نظام الجودة. في حين يعني مصطلح إدارة الجودة الشاملة: تلك التدابير والإجراءات التي تتخذها إدارة المؤسسة لتحديد أهداف الجودة ومستوياتها وسياساتها ومسؤولياتها بهدف التحسين المستمر في المداخلات والعمليات والمخرجات لنظام المؤسسة (الحارثي، 2014، ص16).

- مفهوم الجودة في التعليم:

يتعلق مفهوم الجودة في التعليم بكافة السمات والخواص التي تتعلق بالمجال التعليمي والتي تظهر مدى التفوق والإنجاز للنتائج المراد تحقيقها، وهي ترجمة احتياجات توقعات الطلاب الى خصائص محددة

تكون أساساً لتعليم الخدمة التعليمية وتقديمها للطلاب بما يوافق تطلعاتهم. وهي بذلك ترجمة لاحتياجات وتوقعات المستفيدين من العملية التعليمية الداخليين، سواء أكانوا أساتذة، عاملين بمختلف مستوياتهم الوظيفية أو طلاباً، والخارجين من مستخدمي الخدمات التعليمية مثل: أولياء الأمور، والمجتمع والمؤسسات، إلى مجموعة خصائص محددة تكون أساساً في تصميم الخدمات التعليمية وطريقة أداء العمل من أجل أن تلبي احتياجات وتوقعات المستفيدين وتحقيق رضائهم عن الخدمات التعليمية المقدمة والتي تعبر عن مدى استيفاء المداخلات والعمليات والمخرجات في المؤسسة التعليمية لمستويات محددة تشكل في مجملها معايير الجودة الشاملة، ويعرفها الباحثين بأنها: مجموعة من الأنشطة والمهارات التي يقوم بها المسؤولون لتسيير شؤون التعليم، والتي تشمل التخطيط للجودة وتنفيذها وتقويمها وتحسينها في كافة المجالات العملية التعليمية. (بلخيري، 2017، ص243).

وهي عملية تطبيق مجموعة من المعايير والمواصفات التعليمية والتربوية اللازمة لرفع مستوى جودة المنتج التعليمي بواسطة كل فرد من العاملين في المؤسسة التعليمية والتربوية في المؤسسة كلها.

فالجودة في التعليم ترتبط بالملاءمة للغرض وقد حدد كل من ريد Reid وشو Shaw وحددا صفاتها في العملية التعليمية بما يلي:

المحتاج الدراسي مناسب لحاجات الكلية واهتماماتهم وأهدافهم، نظام تقويم يقيس بدقة مدى اكتساب الطلبة للمعلومات، بنسبة احتفاظ عالية ونسبة تسرب منخفضة (أكثر من المقررات الأقل جودة)، نسبة نجاح عالية أكثر من تلك التي تحرزها مقررات مرادفة بنوعية أقل جودة (البيلوي وآخرون 2006، ص 14).

4- معايير الجودة في التعليم:

- جودة مناهج الدراسة ومقررات المناهج.
- تمتع المؤسسة ببنية تحية متطورة
- خلق انطباع ايجابي لدى المستفيدين من الخدمات الاجتماعية.
- استغلال الموارد المالية والموارد البشرية أفضل استغلال.
- وجود المعايير الادارية والتربية التي تضمن كفاءة العملية التعليمية.
- الحصول على افضل النتائج في تحصيل الطلاب للمواد الدراسية (أمل سالم، 2018).

5- مفهوم الوتيرة المدرسية:

إن الوتيرة المدرسية مفهوم مبهم وغير واضح ولقد أصبح ضمن اهتمامات وزارة التربية وذلك ينعكس في مختلف الدراسات التي يقوم بها حاليا عدة باحثين في هذا المجال بهدف تحسين العملية التربوية، والوتيرة المدرسية بشكل خاص، ودراسة الوتيرة المدرسية يمثل وسيلة لإعادة توازن مختلف الأوقات عند الطفل وحسب الباحث Testu فمفهوم الوتيرة المدرسية يمكن أن يفهم كجداول التوقيت أو الرزنامة المدرسية أو كتغيرات دورية للعمليات الفيزيولوجية والفكرية والنفسية للأطفال والراشدين المتمدرسين. (معروف، 2016، ص 117-118) كما يرتبط مفهوم الوتيرة المدرسية بالإصلاح المدرسي.

وترتبط الوتيرة المدرسية بمجموعة من المصطلحات التي تساهم في دراستها ومن أهمها نذكر:

-ميدان الكرونوبولوجية.

- ميدان الكرونونفسية.

أولاً: الكرونوبولوجية:

تعرف الكرونولوجيا أو علم الزمن البيولوجي بأنها البحث في مجال التنظيم الزمني للإنسان، أين يتم استخدام مختلف النتائج المتوصل إليها بالخصوص الايقاعات اليومية للإنسان من أجل تحسين حياة الانسان وتطويره(خرموش، 2020، ص39).

عرّف الباحث Reinberg الكرونوبولوجية بأنها دراسة البنية الوقتية لكل كائن حي وتغيراتها ويسمح حسبه من التّحديد الكمي المفصل لميكانيزمات البنية الوقتية، البيولوجية للكانونات الحية والاهتمام بدراسة تغيرات الوظائف الاساسية خلال تناوب الليل والنهار.(وعلي، 2017، ص 87).

- ميدان الكرونونفسية:

تعتبر ميدان حديث بالمقارنة مع والكرونوبولوجية، في عام 1980، اظهر الباحث السيكلولوجي Paul Fraisse أنّ سلوكات الانسان لا يمكن لها أن تفسر في ظل سياق التوترات البيولوجية فحسب، بل يجب دراسة وتيرة السلوك بحد ذاتها، ولتحديد خصائص هذه الدراسات يقترح استعمال مصطلح الكرونونفسية في ذلك، ولقد عرّفها Fraisse بأنها علم دراسة السلوك والوتيرة المدرسية، وتغيرات النشاط الفكري، وهي جوهر ميدان التوترات المدرسية(معروف، 2018، ص60).

وبفضل ميدان الكرونونفسية التجريبية أصبح اليوم من الممكن القول أن الوتيرة المدرسية للطفل تشهد تغيرات خلال اليوم والاسبوع والسنة، ما جعل الابحاث التجريبية في ميدان الكرونونفسية منذ ظهورها إلى يومنا الحالي تصب حول وتيرة حياة الطفل في الوسط المدرسي ذلك بمعية ميدان الكرونوبولوجية، بهدف الدراسة التجريبية للتغيرات الدورية اليومية والاسبوعية للانتباه وسلوكات التلاميذ داخل القسم في علاقتها بوتيرة النوم(معروف، 2018، ص60).

6- دور الكرونونفسية والكرونوبولوجية في الوتيرة المدرسية:

وحسب الباحث Testu إذا كانت الوتيرة تدرس عن طريق ما يعرف بالكرونوبولوجية التي تسمح بمعرفة التوترات البيولوجية للطفل فأنت أبحاث أخرى قد أثبتت أنّ الوتيرة لا تلاحظ فقط على المستوى الفيزيولوجي، فقد تبين أيضا أنّ الاداءات الجسمية والفكرية، الانتاج في العمل تتغير

أيضا بصفة دورية وقد بين Fraisse في هذا الصدد أنّ السلوكات الانسانية لا يمكن أن تفسر فقط بالتوترات البيولوجية فمن الضروري دراسة التوترات السلوكية لذاتها من أجل تمييز هذه الدراسات، أقترح أن تستعمل كلمة الكرونونفسية (مختبر مجتمع-تربية-عمل، 2019).

لقد اعتنى ميدانا الكرونونفسية والكرونوبيولوجية بفهم طبيعة التوتر المدرسية حيث اشارا إلى وجود عوامل بيولوجية ونفسية لها علاقة بالتغيرات الزمنية، فاعتبر الساعة الدراسية الاولى من الفترة الصباحية والمسائية عقيمة من حيث توظيف القدرات المعرفية، بينما ترتفع فعالية المعرفية على الساعة الحادية عشرة وعلى الساعة الرابعة بعد الزوال، كما أثبت هذان الميدان وجود تغيرات تطرأ على أنماط الأداءات اليومية والأسبوعية للانتباه وللسلوكيات داخل القسم، مع إبراز أهمية احترام مدة النوم الليلي، وبرمجة النشاطات خارج المدرسة للتلميذ، كما يقترح ميدان الكرونوبيولوجيا دراسة التغيرات الكمية المنتظمة والدورية للأنساق، البيولوجية على مستوى الخلية، والنسيج والبنية، والجسم أو المجتمع، الامر الذي مكّن من الاعتراف بوجود التوترات البيولوجية والتي لها علاقة بتغيرات الأداءات وبظهور ميدان الكرونونفسية

ولقد حدد البيولوجيون ثلاثة أنواع من التواترات: (بحري، 2020، ص 41)

- التواترات السيركيومية *Rythmes Circadiens* : بمدة تقدر بأربعة وعشرين ساعة (وتيرة نوم- يقظة مثلا).

- التواترات فوق اليومية أو السريعة *Rythmes ultradiens* : بمدة نصف ساعة إلى عشرين ساعة (مراحل النمو مثلا).

- تواترات تحت اليومية أو البطيئة *Rythmes infradiens* : بمدة تقدر ببثمانية وعشرين يوما.

- التواترات الشهرية *Rythmes Circamensuels* : تقدر بثلاثين يوما.

- التواترات السنوية (*Rythmes Circannuels*) : بثلاثة مئة وخمسة وستين يوما. (معروف - خلفان ، د ن، ص 35).

في الاخير:

يمكن أن تساهم جودة التعليم في تحسين الاداء المعرفي للأفراد، كما أنها تساهم في تطوير هذه العملية ووضع أسس متينة لها، باعتبارها عملية تحدي قائمة على توفير أحسن الوسائل، وتعديل المناهج الدراسية وتحسين أداء المؤسسات التعليمية في القرى والمدن، وبالمقابل تقوم بتحقيق

الاستغلال الأمثل للموارد المالية والبشرية للمؤسسة التعليمية، وهو أمر يكاد أن يكون متصل بأهمية دراسة الوتيرة المدرسية فهي الأخرى تهدف الى الوقوف على العملية التربوية ودراساتها دراسة علمية ونفسية وبيولوجية واجتماعية، من أجل تحسين اداء التلاميذ داخل مؤسساتهم التعليمية.

- قائمة المصادر والمراجع:

- أحمد عكاشة-طارق عكاشة، علم النفس الفسيولوجي، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة، ط2.
- بحري صابر- خرموش موني، (2020)، الكرونولوجيا والصحة النفسية تطبيقاتها وتقاطعها، مجلة العلوم الاجتماعية، المجلد السادس، العدد 02،
- خديجة شناف-مراد بلخير. (ديسمبر. 2017). معايير ضمان جودة التعليم العالي: عرض لبعض النماذج العالمية. مجلة الدراسات والبحوث الاجتماعية. جامعة الشهيد حمة لخضر. الوادي. العدد 24. 240-255.
- نور الدين أحمد قايد، حكيمة سبيعي(2010)، التعليمية وعلاقتها بالأداء البيداغوجي والتربية، (بسكرة مجلة الواحات للبحوث والدراسات، العدد 08، .
- مختبر مجتمع-تربية-عمل(2019)، معطيات كرونونفسية وكرونوبيلوجية خاصة بالوتيرة المدرسية لدى تلاميذ التحضيري، INRE Educrecherche, Volume 08, N°02, Décembre.
- معروف لويزة- خلفان رشيد، الوتيرة المدرسية مفهوم مهم، مجلة بحوث وتربية، العدد الأول، المعهد الوطني للبحث في التربية، الجزائر.
- محمد سالم الطلاع، (2014)، العوامل المؤثرة في جودة التعليم الأساسي بمدارس محافظة لقنيطرة في ضوء معايير الجودة الشاملة، مذكرة الدكتوراه، قسم المناهج وأصول التدريس، جامعة دمشق، كلية التربية، الجمهورية العربية السورية.
- وعلي لامية- معروف لويزة،(2016)، حوصلة الدراسات الجزائرية الخاصة بالمدرسة، دراسات نفسية وتربية مخبر تطوير الممارسات النفسية والتربوية، عدد17، ديسمبر.